# سَحابَةٌ تُظِلُّ رَجُلاً!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

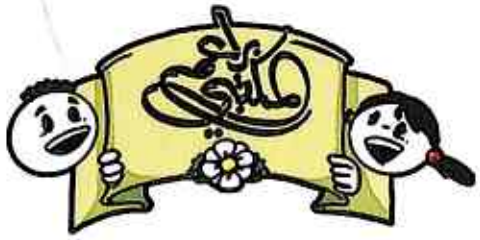

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

## * فَفَرّج عَنَّا ما نَحْنُ فِيْهِ *

لِكثرةِ ما ذَكَرَ القُرآنُ الكريمُ ، وكذلكَ السُّنَّةُ النَّبويَّةُ الحديثَ عَنِ التَّوْبَةِ ؛ أَسْرعَ فريقٌ مِنَ النَّاسِ إِلىٰ النَّدمِ على ما سَلَفَ ، والإِقلاعِ عَنْ الذَّنْبِ في الحالِ ، ثُمَّ إنّه شَدَّ العَزْمَ علىٰ أَلاّ يَعُودَ إلى ذلكَ أَبداً ، مِصْدَاقُ ذلكَ قولُه تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللّيلِ ليتوبَ مُسِيءُ النَّهارِ ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ لِيَتُوْبَ مُسِيْءُ الليلِ حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

ومِنْ حِكَاياتِ التّائبينَ هذه الحِكاية النَّبويَّةُ الَّتي وَرَدَتْ في صَحِيحِ البُخاريِّ:

«انطلقَ ثَلاثةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كان قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ آواهُم المَبيتُ إلى غارٍ ، فَدَخَلُوه ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبلِ ، فَسدَّتْ عليهِم الغَارَ ، فقالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجيكُمْ من

هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فقالَ رجلٌ منهم: اللَّهُمَّ كانَ لي أَبَوانِ شَيْخَان كَبيران ، وكنتُ لا أَغْبقُ ـ أي لا أَسقي ـ قَبْلَهُما أَهلاً ولا مالاً ، فنأىٰ بي في طَلَبِ شَيءٍ يوماً ، فلم أُرِحْ عليها حتىٰ ناما ، فَحَلَبْتُ لهما غَبوقَهما فَوَجَدْتُهُما نائِمَيْنِ ، وكَرِهْتُ أَنْ أَغْبقَ قَبْلَهُما أَهلاً أو مالاً ، فلبثتُ والقَدَحُ عَلىٰ يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيْقَاظَهُما حَتىٰ بَرَقَ الفَجْرُ ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبوقَهما ، اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيهِ من هذه الصَّخْرةِ ، فانْفَرَجَتْ شَيئاً لا يَسْتَطِيْعُونَ الخُرُوجَ! قال النبي ﷺ.

وقالَ الآخرُ: اللهمَّ كانَتْ لي بنتُ عَمٍّ كانت أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيّ، فأَرَدْتُّها عَنْ نَفْسِها ، فامْتَنَعَتْ مني ، حتَّىٰ أَلمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السّنِينَ، فجاءتني فأعطيتُها عِشْرينَ ومئة دينارٍ على أَنْ تُخلِّيَ بيني وبينَ نَفْسِها، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إذا قَدرتُ عليها قالَتْ: لا أَحلُّ لَكَ ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيها ، فانْصَرَفْتُ عَنْها وهي أَحَبُّ النَّاسِ إِليَّ وتركتُ الذَّهَبَ الذي أَعْطيتُها ، اللَّهُمَّ إِنْ كنتُ فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ

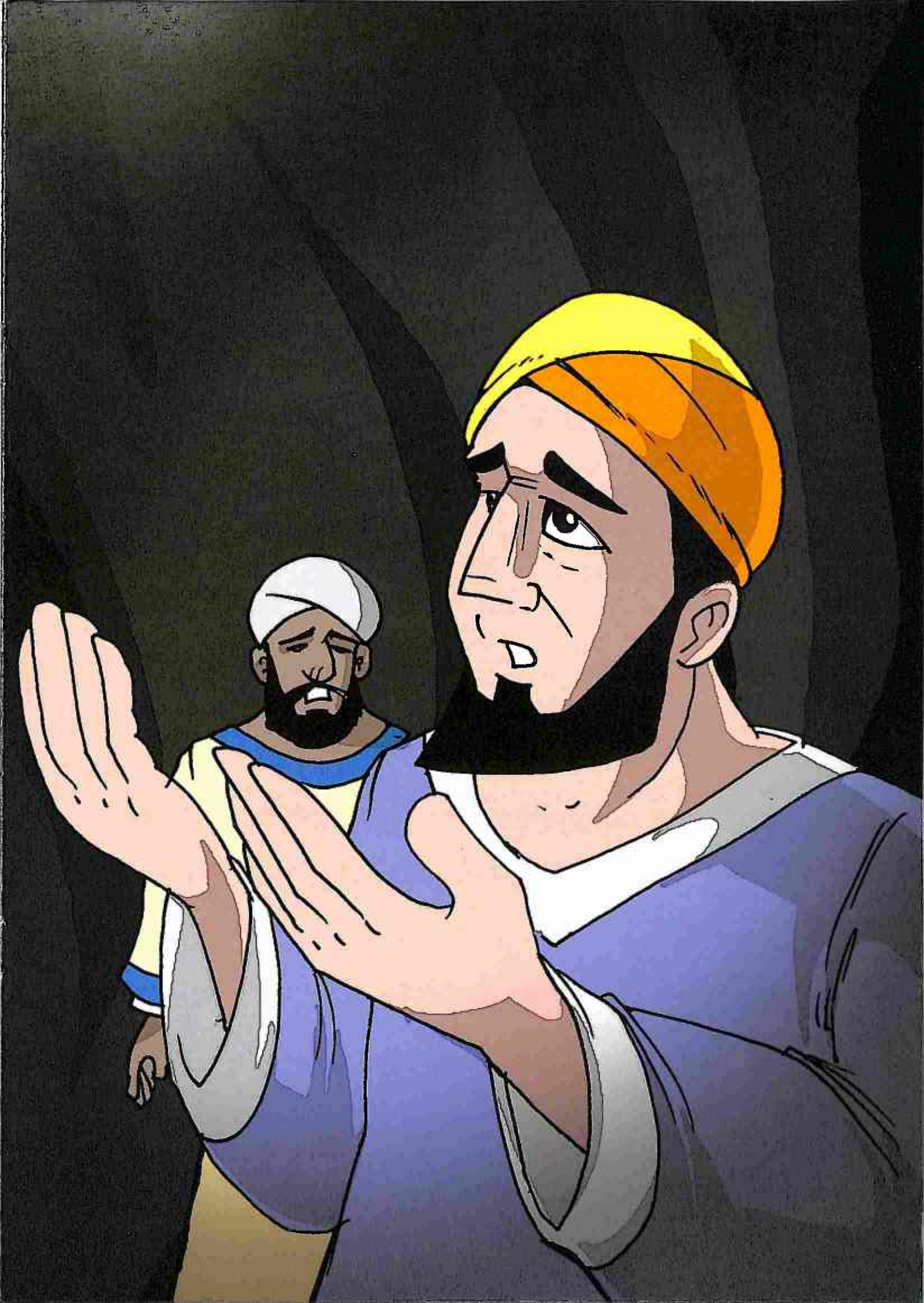

فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيْهِ ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غيرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيْعُونَ الخُروجَ مِنْها! قال النبي ﷺ:

وقال الثَّالث: اللهمَّ إنِّي اسْتأجَرْتُ أُجراءَ فأعطيتُهُمْ أَجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحدٍ ترك الَّذي لَهُ وذَهَبَ. فثَمَّرْتُ أَجْرَهُ ـ أي: تاجرتُ فيهِ حتى رَبِحَ ـ حتىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الأموالُ ، فجاءني بَعْدَ حِيْنٍ ، فقالَ: يا عبدَ اللهِ أَدِّ إليَّ أَجْري.

فَقُلْتُ لَهُ: كلُّ ما تَرَىٰ مِنْ أَجْرِكَ من الإبلِ والبقرِ والغَنَمِ والرَّقيقِ!.

فقال: يا عَبْدَ الله! لا تَسْتَهْزِئْ بِي.

فقلتُ: إنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بك ، فَأَخذهُ كلَّهُ فاستاقَهُ فلم يترك مِنهُ شَيئاً ، اللهمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه ، فانفرجتِ الصَّخْرةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

## * رَجُلٌ تُظِلُّهُ سَحَابَةٌ!! *

ومِنْ حِكَاياتِ التائِبِيْن هذه الحِكايةُ الرَّائِعةُ:

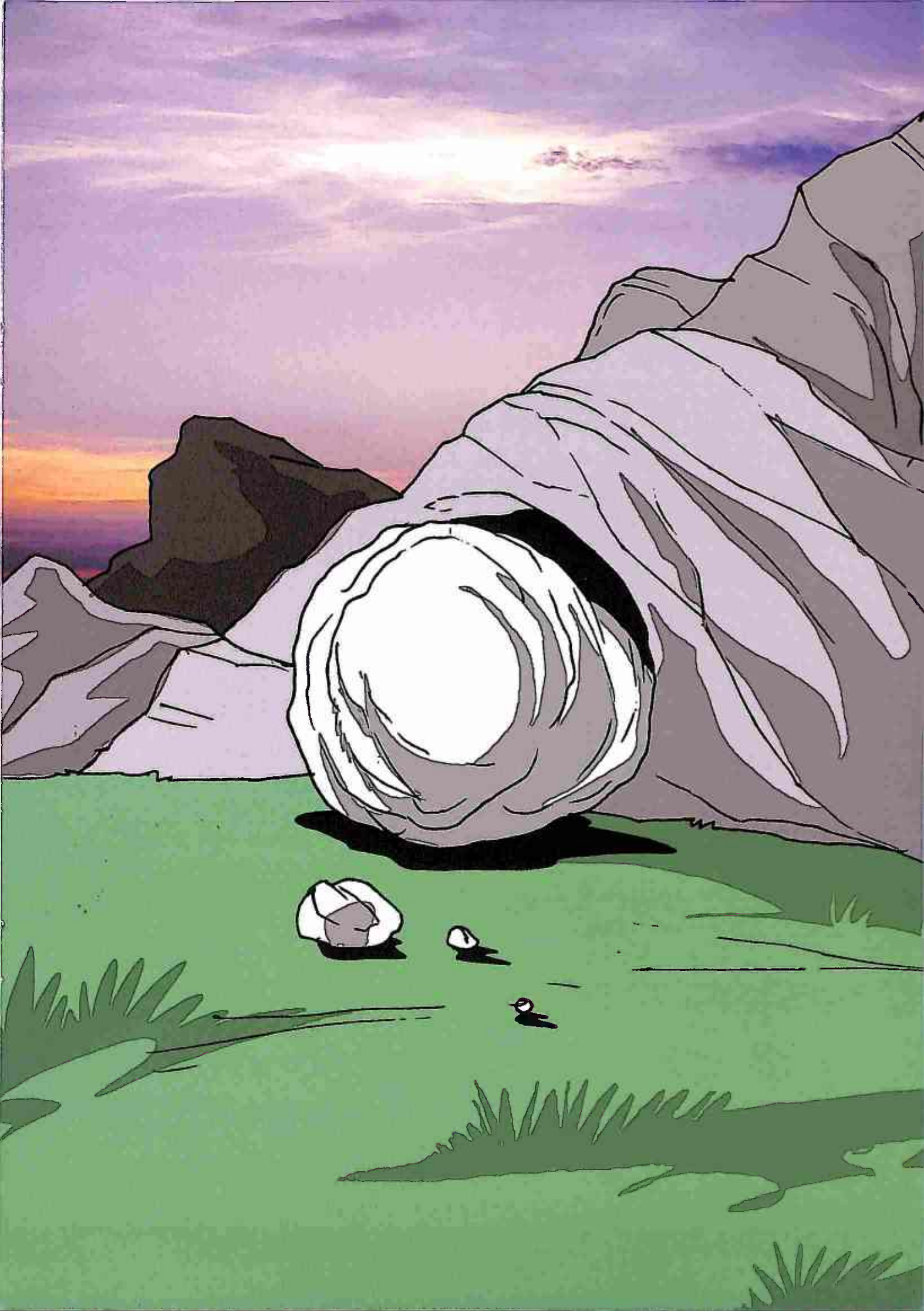

تعلَّقَ قلبُ قَصَّابٍ - جَزَّارٍ - بِجاريةٍ لبعضِ جِيرانِهِ ، وذاتَ لَيْلَةٍ أَرْسَلَهَا أَهْلُها في حاجَةٍ لَهم إِلَىٰ قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ ، فَتَبِعَهَا القَصَّابُ ، وفي الطَّرِيْقِ التفَت الرَّجُلُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمَالِ فلم يَجِدْ أحداً ، فاقتربَ منها وزاد في الاقتراب.

فقالَتْ: لا تَفْعَلْ ، فإنِّي أَخافُ اللهَ.

فعادَ الرَجلُ إلى وَعْيِهِ وقال: أَنتِ تَخافينَ اللهَ وأَنَا لا أَخافُهُ؟!

فأَعْلنَ تَوْبَتَهُ ، ورَجَعَ إِلَىٰ بَلَدِهِ ، وَفيْ الطَّرِيْقِ كانَ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وكانَ يَبْكِي كَثيراً.

وعَطِشَ الرَّجُلُ حَتّى كادَ أَنْ يَمُوتَ ، فجلسَ لِيَرْتَاحَ قَليلاً ، فإذا بهِ يَرىٰ رَجُلاً قادِماً نحوه ، ولمَّا وَصَلَ إليهِ سَأَلَهُ عَنْ حالِهِ ، فقالَ: أَنا رسولُ نَبيٍّ من أَنبياءِ بَني إسرائيلَ ، وقد أَرْسَلَنِي إليكَ لأعلمَ حاجَتَكَ وأُساعِدَكَ.

فقالَ الرّجُلُ: العَطَش... العَطَش ، أُريدُ ماءً وإلا هَلَكْتُ!

فقالَ رسولُ النَّبيِّ: تعالَ حتّىٰ نَدْعُو الله ، عسىٰ أَنْ تُظَلِّلنا سَحابةٌ ، فنشربَ من مائِها ، ونَسْتَظِلَّ بِظِلِّها.

وهكذا كانَ ، فراحَ الرَّجُلُ يَدْعُو اللهَ تعالى ، والعطشانُ يقولُ بحُرقةٍ: آمينَ.

واسْتَجَابَ اللهُ الدُّعَاءَ ، فأظلَّتْهُمْ سَحابَةٌ ، حتىٰ انْتَهُوا إلىٰ القَرْيَةِ ، فأخذَ القَصَّابُ إلى مكانهِ ـ أي سار باتِّجاهِ بَيْتِهِ ـ فمالَتِ السَّحابَةُ عليهِ!

فنظرَ رسولُ النَّبيِّ إليهِ باسْتِغْرَابٍ ، ثم قال له: يا هذا كنتُ أَظنُّ أنَّ السَّحابَةَ سَتَسِيْرُ مَعِي على أَساسِ أَنِّي رجلٌ صالحٌ ، وأنتَ رَجُلٌ ظالِمٌ نَفْسَكَ ، فأُنَاشِدُكَ اللهَ إلاَّ أَخْبرتني ، ما حِكَايَتُكَ؟!

فقالَ القَصَّابُ: واللهِ مالي عَملٌ يجعلُ السَّحابةَ تَتْبَعُني إلا أَنه حَدَثَ مَعِي كَذَا وكَذَا ، وقصَّ عليهِ ما جَرىٰ بَيْنَهُ وبينَ الجَاريةِ.

فقالَ رسولُ النبيّ: التائبُ إلى الله بمكانٍ ليس لأحدٍ مِنَ النَّاس عِلْمٌ بمكانِهِ.

## * أَتَرى اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي؟! *

ومِنْ حِكَاياتِ التَّائِبينَ هذه الحكايةُ الجَمِيلةُ التي حَدَثَتْ مع رَجُلٍ يُقالُ لَهُ (أَبُو هاشم المذكّر) والتي يقولُ فيها:

ذاتَ يومٍ أردتُ الذّهابَ إلى البصرة ، فَجِئْتُ إلى سَفِيْنَةٍ أَكْتَرِيْهَا ـ أي: أَسْتَأْجِرُهَا ـ ، فرأيْتُ سَفِيْنَةً فيها رجلٌ ، ومَعَهُ جارية.

قالَ: فتقدَّمْتُ من الرّجُلِ وقلتُ لهُ: أُريدُ الذَّهَابَ إلى البَصْرَةِ.

فقالَ: ليسَ ها هُنا مَوْضِعٌ ، أو تنتظرُ حتَّىٰ نَتَغَدَّىٰ.

فقلتُ: أَلا تُطْعِمُونِي مَعَكُمْ؟

قال: على الرَّحْبِ والسَّعةِ ، ثم نادىٰ الجاريةَ لتُحضرَ الطَّعامَ.

قال: ولما تَغَدَّينا قال: يا جاريةُ! هاتي الشَّرابَ ، واسْكُبِي للضَّيْفِ.

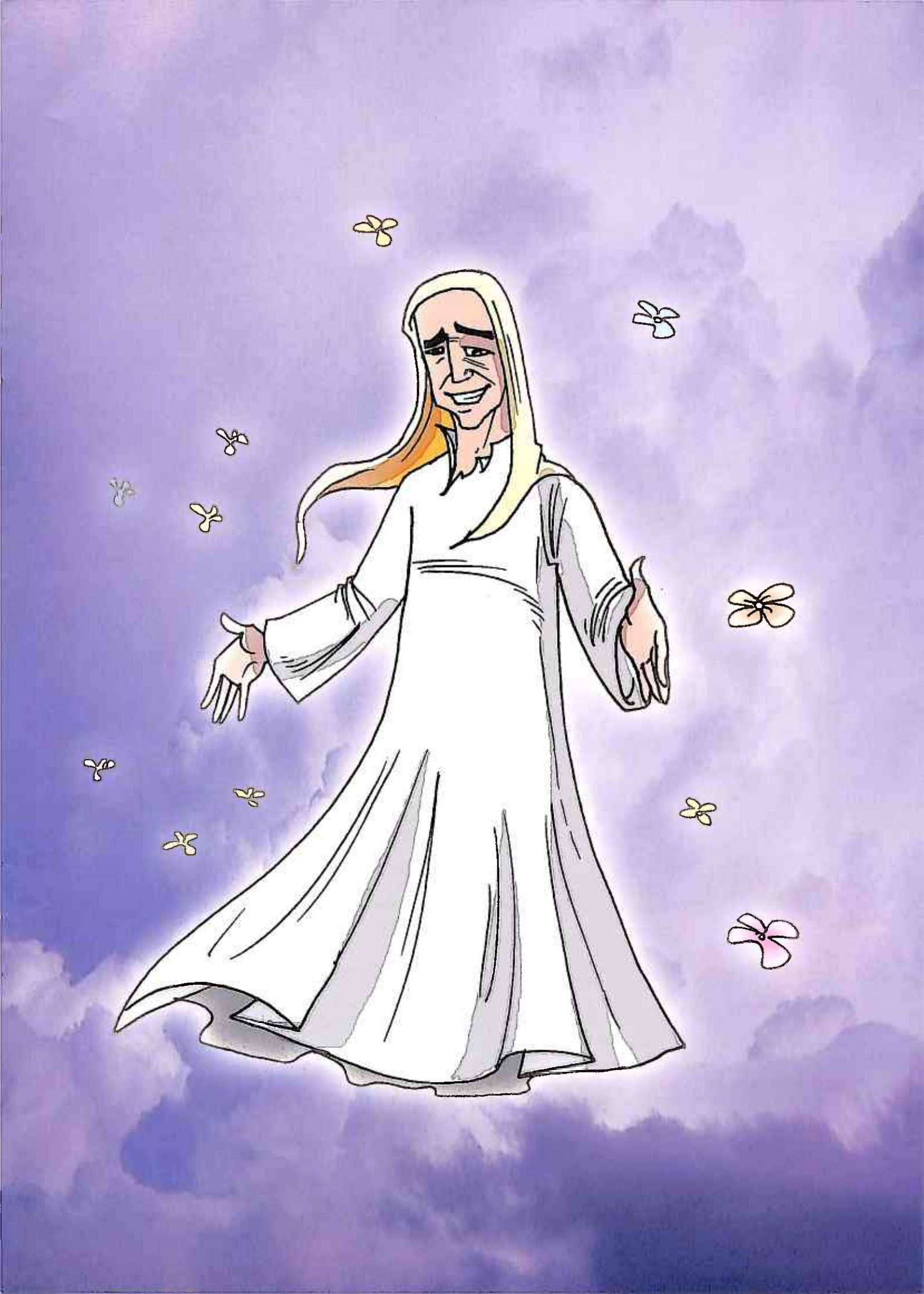

فقلتُ: رَحمكَ اللهُ ، إنِّي لا أَشْرَبُ ما حَرَّمَ الله تعالى.

وسَكَبتِ الجَاريةُ لهُ الشَّرَابَ ، فَشَرِبَ حتى أَصْبَحَ كالمَجْنُون!

ثم صاحَ بأعلىٰ صوتِه: يا جاريةُ! هاتِي العُودَ ، وهاتِي ما عِندَكِ مِنَ الغِنَاءِ.

فجاءتِ الجاريةُ بالعودِ ، وراحَتْ تعزفُ عَليهِ ، وتغنّي.

بَيْنَما كانَ الرَّجُلُ يتمايلُ تارةً ، ويَهْذِي أُخْرَىٰ.

ولما استفاقَ من سُكْرِه التفتَ إليَّ وقال: أتُحْسِنُ مثلَ هذا الغِناءِ؟

فقلتُ: أُحسنُ خَيْراً مِنْهُ ، ورحتُ أَقْرأ عليه قولَ اللهِ تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ٣].

فجعلَ الرَّجُلُ يبكي ، ولما انتهيتُ إلى قولِه تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

قالَ: يا جاريةُ! اذْهَبِي فأنتِ حُرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالى ،

ثم ألقىٰ ما مَعَهُ مِن الشَّرابِ ، وكَسَّر العُودَ.

ثم اقْتَرَبَ مِنِّي فقبّلني ، وقال: يا أَخِي! أَتَرَىٰ اللهَ يَقبلُ تَوْبَتِي؟

فقلتُ: نَعَمْ ، إن الله يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال: فآخيتُه ـ أي جَعَلْتُهُ لِي كالأَخِ والصَّاحب ـ بعد ذلكَ أربعينَ سَنَةً ، حتىٰ مَاتَ قبلي ، فرأيتهُ في المَنامِ ، فَسَأَلْتُه: إلامَ صِرْتَ بَعْدِي؟

فقالَ: إِلَىٰ الجَنَّـةِ.

فقلتُ: بِمَ صِرْتَ إلى الجَنَّـةِ.

قال: بِقراءَتِكَ عليّ: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠].

فهل مِنْ مُعْتَبِرٍ؟!